مجلة المحترف لعلوم الرياضة و العلوم الانسانية و الاجتماعية

المجلد (12) العدد (04) السنة (2025)

الصفحة215–196

القضاء بين جدلية الانتماء والاغتراب

" رواية الجازية والدراويش لعبد الحميد بن هدوقة نموذجا

The Space between the Controversy of Belonging and Expatriation, "The Novel of Eldjazia and Al-Darawiche by Abd Elhamid ben Hadouga as a Model

سعدية بن يحي

جامعة زيان عاشور بالجلفة (الجزائر)، sadiabenyahia@gmail.com

معلومات البحث

تاريخ الاستلام: 17-08-2025

تاريخ القبول:2025/11/30

Printed ISSN: 2352-989X
Online ISSN: 2602-6856

الملخص: هدفت الدراسة إلى تصوير الفضاء في رواية الجازية والدراويش للروائي عبد الحميد بن هدوقة، من خلال جدلية الانتماء والاغتراب. معتمدة في ذلك على المنهج السيميائي لإبراز دوره في بناء العمل السردي ومدى مساهمته في تشكيل هوية الشخصيات عبر هذه الثنائية. أين تم تشخيص الفضاء بوصفه مؤشرا دلاليا يربط بنية النص بالواقع الاجتماعي والثقافي. ولقد أسفرت الدراسة على جملة من النتائج أهمها:

- الفضاء لم يكن مكونا سرديا فحسب بل لعب دورا فعالا في تشكيل هذه الثنائية.مما أنتج مجموعة من الأزمنة (زمن الانتماء، الزمن الصفري، الزمن العجائبي).
- ساهمت ثنائية الانتماء والاغتراب في تصعيد الصراع بين مكونات السرد فلم يعد المكان إطارا تأثيثيا للحدث بل لعب دورا مهما في صنعه. فضلا عن تأثيره المباشر على الشخصية.

الكلمات المفتاحية: الفضاء ، الصراع ، الانتماء، الشخصية، الاغتراب .

ABSTRACT

The study aimed to clarify the space in the novel of Eldjazia and Al-Darawiche , by the novelist Abd Elhamid ben Hadouga, through the struggle of belonging and alienation. This approach is based on the semiotic method to highlight its role in building the narrative work and its contribution to the formation of the identity of the characters. Where space was diagnosed as a semantic indicator linking the structure of the text with social and cultural reality. The study resulted in a number of results, the most important of which are:

- Space was not only a narrative component but also played an active role in shaping this duality, producing a set of times (belonging time, zero time, miraculous time).
- The duality of belonging and alienation has contributed to the escalation of the conflict between the components of the narrative, as the place is no longer a founding framework for the event, but rather played an important role in its creation. as well as its direct impact on personality.

Key words: space - conflict - belonging - personality - alienation.

1. مقدمة:

تحولت الرواية العربية من مسارها الخطي الرتيب إلى مسار تتداخل فيه مكونات العمل السردي، فلا يستطيع المتلقي التميز بين دور عناصرها إلاّ بعد تنقيب حثيث، خصوصا وأنّ الأدوار التقليدية المسندة إلى مكوناتها قد تغيرت إذ لم يعد دور البطولة حكرا على الشخصيات، بل أصبح الزمن يملك القدرة على انتزاع هذا الدور فيغير في مسار الحدث بفنية لا تقل عما كانت تقوم به الشخصية، وذات الشيء بالنسبة للمكان فقد تحول من إطاره الجغرافي التأثيثي إلى مغير فعّال في مسار الحبكة، بل ومؤثر في دور وانفعال الشخصيات مما يؤكد أنّ الرواية لم تعد بتلك النمطية التقليديّة، بل تحولت إلى فضاء يتجاوز فكرة القص في حد ذاته ليطرح قضايا مختلفة، وإذا كان العمل السردي يرتكز على الطرح، فإنّ مكوناته تستند على البناء مما يجعل آليات القراءة تقف على خطين متوازيين يكمل كل منهما الآخر في تشكيل فكرة العمل القائمة على شبكة من العلامات والدلالات لتشكل نسقا سيميائيّا يعكس مجموعة من القضايا.

ولعل قضية الاغترب والانتماء من أعمق القضايا التي يطرحها العمل السردي لكونها تشكل صراعا محوريّا إذ تُظهر تفاعلات مكونات النص توافقا وتضادا، فيرمز الاغتراب إلى حالة الانفصال والتوتر النفسي تجاه الفضاء السردي، في حين يعتبر الانتماء مؤشرا لتماسكه وارتباطه، وإن كان الحدث بداية لا يفصح عن ذلك بشكل صريح ،بل يعمل على تمويه المتلقي لكن سرعان ما تُظهره مكونات السرد وعليه فإنّ هذه الدراسة تروم لمقاربة تمثلات الفضاء وعلاقته بجدلية الانتماء والاغتراب في رواية الجازية والدراويش للكشف عن دوره في بناء المعنى وتشكيل البنية السرديّة ومن هذا المنطلق نطرح الإشكالية الآتية :

–كيف صور الروائي عبد الحميد بن هدوقة الفضاء بين جدلية الاغتراب والانتماء في نص الجازية والدراويش ؟

وللاجابة على الإشكالية نقترح الفرضيات الآتية:

- يمكن للفضاء أن يغير في مجريات الحدث إيجابا وسلبا فدوره يتعدى الجانب التأثيثي للعمل.
- استطاع الزمن أن يخرج من إطاره الفيزيائي إلى فضاء مفتوح يتصالح و يتصارع مع مكونات السرد الأخرى .
- جدلية الاغتراب والانتماء تقتصر على الشخصية فحسب .
- توظيف الخرافة والأسطورة كان لمؤشرا في صنع التباين الثقافي بين شخصيات النص.

تأتى أهمية الدراسة من كونها تتطرق إلى متغيرين أحدهما متعلق ببنية العمل السردي متمثلا في الفضاء الروائي،المتغير الثاني متعلق بالطرح المستقى من فكرة النص ثنائية الاغتراب والانتماء، فضلا عن كشف أدوار مكونات السرد التي تلعبها مما يجعلها تتقاطع وظيفيا وهو ما يخرجها عن إطارها التقليدي المهتلك، كما تتجلى أهمية الدراسة في

تسليط الضوء على ثنائية الانتماء والاغتراب باعتبارها طراحا يرتبط ببنة النص ككل . في الأخير إنّ تطبيق أكثر من منهج يعد هدفا جوهريا هدفه منح الدراسة ثراء في نتائجها .

ولقد جاءت الدراسة لتحقيق الأهداف التالية:

- ابراز جمالية الطرح في هذا النص بداية من العجائبية التي منحها الروائي لبعض شخصياته كشخصية الجازية مثلا.
- تصوير الفضاء الروائي بشكل خاص وفقا لثنائية الانتماء والاغتراب كشف عن دلالات رمزية ونفسية كانت مؤشرا لفهم النص.
- فهم وظيفة الفضاء في إنتاج المعنى، ساهم في رسم أبعاد سياسية واجتماعية شكلت هويّة شخصيات النص

كما وظفت ورقتنا البحثية المنهج السيميائي من خلال رصد تجليات الفضاء الروائي واستجلاء دلالاته عبر ثنائية الاغتراب والانتماء وهو ماسمح لنا بالكشف عن البنية العميقة للنص. وبناءً عليه دراستنا ستتناول:

- الجانب النظري يحدد مفهوم الفضاء لغة واصطلاحا، كما أبرز أنواع الفضاء بداية من الفضاء النصي، الفضاء كمنظور، الفضاء الدلالي، الفضاء الروائي.
- الجانب التطبيقي يصور الفضاء الروائي بين جدلية الاغتراب والانتماء عبر نقاط ثلاث أولها المكان الذي بدوره عكس هذه الثنائية من خلال القرية، البيت، الجامع ثانيا الشخصية وتجلت في الجازية، الدراويش، السبعة ثالثا الزمن وعكس بدوره مجموعة من الأزمنة أهمها زمن الانتماء، الزمن العجائبي، الزمن الصفري.

2. الإطار النظري للدراسة

1.2 تعريف الفضاء: يشكل الفضاء موضوعا محوريا في جلّ الدراسات النقدية باعتباره مفهوما اجرائيا يتخطى معناه الفيزيائي الفلكي، ليقترن بحدود النص، إذ أسفر عن أبعاد ومفاهيم دلاليّة ورمزيّة لكونه عنصرا فعالا في تشكيل البنية السرديّة وهو ما فعل دوره كأداة لتوليد المعنى ولتوضيح هذا المفهوم أكثر سنتطرق إليه من الجانب اللّغوي والاصطلاحي

1.1.2 تعريف الفضاء لغة: جاء في معجم اللّغة والأعلام" الفضاء جمع أفضية، ما اتسع من الأرض، الساحة يقال مكان فضاء أي واسع" (معلوف، 1998، صفحة 578) في حين يقترن هذا المفهوم بالمكان والوصول في نظر ابن منظور فيرى أنّ" أفضا المكان وأفضى إذا اتسع وأفضى فلان إلى فلان أي وصل إليه وأوصله بمعنى أنّه صار في فرجته وفضائه وحيزه" (ابن منظور، د ت، صفحة 45)،وهي ذات النظرة عند الجواهري فيعتبر الفضاء "هو الساحة وما اتسع من الأرض " (الجوهري، 1987، صفحة 2423) ولا يبقى مفهوم الفضاء مقترنا بالجانب المادي فحسب بل يصبح

"الفضاء شرط الوجود الانساني وتعينه الذاتي لا يتحقق إلاّ به وفيه والحضور والغياب يكونان في الفضاء (إكسندر، 2003، صفحة 7)

2.1.2 اصطلاحا : يعتبر منجي بن عمر أنّ الفضاء" لا يعني زمكانية العمل الروائي فقط،بل هو أيضا يمتد ليشمل زمكانية العالم المحيط بالعمل الروائي" (منجي، 2015، صفحة 20) أمّا عبد المالك مرتاض فيؤكد أنّ" الفضاء من الضرورة أن يكون معناه جاريا في الخواء والفراغ" (مرتاض، 1995، صفحة 121) في حين يرى أفلاطون أنّ الفضاء" يدرك ولا يرى إذ اعتبره عنصرا كاملا ذا وجود مطلق" (الخفاجي، 2013). إنّ التباين في هذه الرؤى يؤكد أنّ المعنى الحقيقي لهذا المفهوم مستمد من الحقل البحثي الذي يدرس فيه، وبناء على ذلك تحدد المعالم الحقيقية لهذا المفهوم الذي يثريه المؤلف والناقد على حد السواء مما يصنع المفارقة بين عمل إبداعي وآخر.

2.2 أنواع الفضاء: يلعب الفضاء دورا أساسيا في بناء النص شعرا كان أو نثرا باعتباره الاطار الذي تنتظم داخله الأحداث وتتفاعل فيه الشخصيات، مما يحدد ملامحه الفنية ويعزز وحدته البنيوية وهو ما أفرز عدة أنواع تبعا لوظائفه ودلالاته داخل العمل الأدبي، نذكر منها ما يلي:

1.2.2 الفضاء النصي: وهو أول فضاء يلتقي به القارئ بالمؤلف من خلال المفردات ويشكل الفضاء الورقي، وبناء عليه تتشكل مجموعة من الفضاءات فأهمية هذا الفضاء" تتجلى في استفزاز عين القارئ نظريا وأيقونيا" (غالية ، 2016، صفحة 20) وبذلك يعد الإطار البنيوي الذي يحتضن مكونات النص ويحدد ترابطها بحيث تتفاعل داخله لتشكل وحدة نصية متكاملة.

2.2.2 الفضاء كمنظور: هو زاوية الرؤية التي يعتمدها الكاتب في تمثيل العالم النصي" فهو يشير إلى الطريقة التي يستطيع الراوي بواسطتها أن يهيمن على عالمه الحكائي" (لحميداني، 1991، صفحة 62) بما يعكس موقفه الفكري الذي من خلاله يؤطر الطريقة التي تُعرض بها أحداث نصه.

3.2.2 الفضاء الدلالي :هو البعد الرمزي والمعنوي الذي يكسبه الفضاء داخل النص، بحيث يتجاوز وجوده المادي ليصبح حاملا لدلالات وأبعاد نفسية واجتماعية أو ثقافية تعمق المعنى الكلي مما يؤكد أنّ هذا الفضاء مرتكز على ما تحيله المفردة من معنى، إذ يمكن لمفردة واحدة ان ترسم معالم هذا الفضاء الذي يتأسس من منطلق العلاقة القائمة بين "المدلول المجازي والمدلول الحقيقي" (لحميداني، 1991، صفحة 60).

4.2.2 الفضاء الروائي: يقترن هذا الفضاء بالرواية عادة ولذا فهو يختزل مجموعة من العناصر المتفاعلة فيما بينها أولها المكان والزمان وتفاعل الشخصيات ،كما تتحد في خضمه "المشاهد والصور والرموز التي تشكل البنية الأساسيّة للنص

السردي" (غني لفتتة و كاظم لفتتة، 2010، صفحة 28) بل يتسع ليتعدى حدود النص "ليتماهى مع القارئ، بوصفه شخصية تتطابق مع الشخصيات وتنتج نصا آخر" (إكسندر، 2003، صفحة 10).

3. الاطار التطبيقي للدراسة

1.3 فضاء المكان وجدلية الاغتراب والانتماء:

عرف الجرجاني الوطن " بأنّه المكان الذي ولد فيه الإنسان ونشأ فيه" (الجرجاني، 2003، صفحة 253) مما يؤكد أنّ هناك تباينا بين المفهومين الوطن والمكان، لكنّه تباين مؤقت سرعان ما يحتويه النص فالمتصفح لنص الجازية والدراويش سيدرك للوهلة الأولى أنّ مفهوم الوطن في هذا النص يخرج عن إطاره الجغرافي المتعلق بالمكان فلا يرتبط بالجزائر ككل، بل يقتصر على القرية فقد كانت في نظر شخصيات الرواية هي الوطن هي الجزائر، وعليه فإنّ المساحة الجغرافية للقرية لم تمنعها من تشرب هذه الدلالة، خصوصا وقد عمد الروائي على مزج بين المكان والشخصيّة ليحدث الذوبان بينهما ويحل كل منهما في الآخر، فتظهر القرية وطن يرتدي ملامح الشخصيّة كما تظهر الشخصيّة مرتدية ملامح القرية في جدلية يعكسها الصراع الداخلي بين الاغتراب والانتماء.

1.1.3 فضاء القرية: تتحول القرية في هذا النص إلى وحدة دلاليّة تتمحور حولها الشخصيات خصوصا وقد عمد

الروائي على إخراجها من جغرافيتها الجامدة، لتتشرب مجموعة من الدلالات أهمها الدلالة التأثيريّة والرمزيّة فيتجلى الفضاء ككيان وظيفي يحمل أبعادا مختلفة، تتحول فيه جغرافيته إلى كيان يعكس الوطن كيان تحمله الشخصية كفكرة بادئ الأمر لكن سرعان ما يتحول إلى قضية هوية وانتماء أبرزت جذور مشتركة فعكست أبعادا ثقافية واجتماعية وعقائدية تجمعهما معا .

القرية هي الفضاء الذي وظفه الروائي ليكون معادلا لفكرة الوطن لدى شخصياته ،فلا عالم آخر تعرفه فكل وافد خارج قرية الصفصاف يُعد غريبا في نظرهم وبذلك يتجسد مفهوم الاغتراب عن الوطن فينظر للوافد إليها نظرة الحيرة والحذر والشك. مما يبرز ثنائية الصراع بين الاغتراب والانتماء، فتظهر دلالة المكان التعبيريّة التي قفزت بفكرة الوطن فحررته من قيد المساحة ليرتبط بيقين الشخصيّة. لتكون القرية وطننا والبيت وطننا والجبل وطن " لكل شيء، يابنيّ عروق تربطه بالأرض ،حيث لا عروق لا شيئ سوى الهاوية! (بن هدوقة، 2012، صفحة 48)" تتعزز فكرة الانتماء لدى الشخصيّة كلّما تعلق الأمر بالرحيل عن الدشرة ،إذ لا وطن خارج حدودها فترى نفسها مثلها مثل الشجر إذا اجتثت جذوره لا يمكنه أن يحيا في مكان آخر"للإنسان جذور تربطه بالأرض كالشجرة. هل يمكن لشجرة أن تحيا بلا جذور ؟أجابت أمي :"لا. أبدا" (بن هدوقة، 2012، صفحة 14)! هنا يمنح الروائي الحريّة لشخصياته فعائلة

الأخضر الجبايلي في هذا الحوار تعبر عن معنى الانتماء بل وتشير إلى اغترابها إذْ ما انقطعت جذور هذه الأشجار وعليه فإنّ شق على هذه الشخصيات تفسير معنى الوطن، فقد أجادت التعبير عن معنى الانتماء والولاء له وعليه ففي نظرها هما وجهين لذات العملة .

إنّ تشبث أهل الدشرة بقريتهم والدفاع عن كل مقوماتها عاداتها وتقاليدها يعكس معنى الهوية كمجموعة من العلامات المرتبطة بالانتماء الجذري، هذا المعتقد هو ما أنهك قوى الشامبيط ومن معه في محاولاتهم المتكررة لإقناع أهل الدشرة بتغير قرية الصفصاف والانتقال إلى قرية جديدة أكثر تطورا وأمانا، وهذا ما يبرز صراع ثنائية الاغتراب والانتماء التي عززها الشانبيط بدفعه لأهل القرية للرحيل، ومع ذلك يرفض أهل القرية مطلبه فالقرية لم تعد فضاء منفصلا عنهم بل أصبحت جزءا منهم، فهي الوطن الذي يعيشون عليه ويدفنون فيه ويتصدون لأي ريح تحاول تغير هذا المسلك.

يتحول الانتماء إلى فكرة تؤمن بها الشخصية فلا تحصرها ضمن الفضاء المادي المدرك لها، بل تربطه بعلامات دالة تلغي الحواجز الفاصلة بين الأحياء والأموات " حتى شهداء الدشرة دفنوا في مقبرتها مع آبائهم و أمهاتهم وإخواتهم. رفض ذووهم أن يدفنوا على حدة أليسوا أبناءهم ؟" (بن هدوقة، 2012، صفحة 37). إنّ يقين أهل الدشرة بأنّ لا حياة إلاّ في هذا الاطار الذي ترسمه القرية هو ما دفعهم أن يسطروا مستقبلهم الذي أصبح ينحصر في قبر جماله يكمن في اقتطاعه من تراب هذه القرية، وهنا تظهر دلالة المكان التأثيرية بشكل جليّ لتؤكد أنّ القرية كفضاء أصبحت تحمل معاني قدريّة لا ينفكون منه إلاّ ليعودوا إليها من جديد. مما يجعل هذا الفضاء يتشرب مشاعر الشخصية ،تكافح وتنتصر وتتألم " ..مع أنّ القرية كافحت ، وصمدت، ووقفت في وجه الظلم ،بيتا بيتا ، فردا فردا لكن بدون حقد " (بن هدوقة، 2012، صفحة 37).

تتحول القرية رغم محدوديّة مساحتها إلى فضاء للوطن، يرفض أهلها الاغتراب عنها يجسدون فكرة الانتماء بالتشبث بالقيم النبيلة ما يجعلها تترفع عن بعض الخصال الذميمة كالحقد والحسد، وعليه فقد تحولت هذه المبادئ إلى يقين في نظر الشخصيات لتجسد فضاء الوطن في بعده الإنساني القائم على المبادئ السامية والأخلاق الفاضلة مما يوثق العلاقة بين الشخصية والقرية كوطن فيقطن كل منهما في الآخر لتتثمن فكرة الانتماء ببعديها المادي والمعنوي،إذ كثيرا ما " تنعكس أفعال الشخصيات على الأمكنة التي تتواجد بها فتحمل هذه الأخيرة القيم المعنويّة لتلك الأفعال سلبية كانت أم موجبة " (صحراوي، 2003، صفحة 208). وهي وجهة نظر تبنتها الشخصيّة فترى في القرية جمالا منقطع النظير "عين جارية. أشجار من كل نوع. صفصاف يتحدى الهاوية؟ الدشرة وجناتها تحيا في الربيع رغم الصيف الصايف ... السكان يستغلونها استغلال إشفاق وحبّ" (بن هدوقة، 2012، صفحة 37). نلاحظ أنّ المسحة الوصفيّة تجاوزت الجانب البصري لتقترن بمشاعر الشخصية، مما جعل الدلالة التأثيريّة للفضاء تتجاوز مساحة القرية

وتتحول إلى وطن بأسره يحمل معاني عميقة فيخرج من جغرافيته ليتحول إلى مهرب وروح موازية لروح الشخصية يتعاطف معها ويشعر بتعبها وهو ما يجسد فكرة الانتماء في حين تتجسد فكرة الاغتراب في كل وافد خارج الدشرة، خصوصا إذا كان هدفه تغيرها حتى وإن كان للأحسن ، ففضاء القرية هو الوطن بكل تضاريسه و تفاصيله هو الملاذ والملجأ المحروس من قبل الصفصاف والجبل والجامع، وهذا ما عبرت عنه الصافية حين رأت القرية أول مرة "أنا أعجبتني هذه الدشرة، وأعجبني فيها بالخصوص هذه الثلاثة ؟إنّها تمثل العلوّ الذي يرنو إليه كل حالم" (بن هدوقة، 2012، صفحة 58).

إنّ تأثيث الروائي للقرية كفضاء دون سواها، هدف لتبيان أحادية المكان في هذا النص، مقارنة بالأمكنة الأخرى حتى أن التفاصيل التي اشتمل عليها الجبل، تعد تفاصيلا للقرية وتوضيحا لمعالمها الجغرافية من جهة ولرمزيتها من جهة أخرى. خصوصا وأنّ اختيار الجبال سمح بنسج وشحاح أسطوري تلتف به القرية كلّما اقترنت بموروثها وذاكرة سكانها ." انظري إلى الجبل إنّه عال، أليس كذلك ؟ الناس يصعدون إليه إذا أرادوا بلوغ قمته لا يهبطون .كذلك نحن ،حياتنا في دشرتنا صعود، ليست هبوطا!" (بن هدوقة، 2012، صفحة 16).

إنّ شعور الشخصيّة يؤكد أنّها جزء من الفضاء ،وأنّ التضاريس التي يحملها ماهي إلاّ مؤشر لتفاصيل حياتها فشموخ الجبل وتحديه للهاويّة بأن تظل أسفله، هو ذاته ما تشعر به الشخصية فهي القابلة للرقي للصعود رغم صعوبة الظروف وقساوتها إذْ تستمد من الجبل كل دلالاته الرمزية ليكون الدافع والمحفز لها فهي تنتمي للجبل و للقرية فاهي حجيلة ترسم أضلاعا ثلاث يجمعها الانتماء وتفرقها التسميات "أبي في الحقيقة جزء من الدشرة ومن الجبل" (بن هدوقة، 2012، صفحة 16)، وهنا تتجسد هويّة سكان القرية التي بُنيت على تخوم المكان وراحت تعزز مقوماتها وفقا لجغرافيته التي لا تلبث أن تتسع باتساع محبتها له، حتى لكأنّ المتلقي لا يملك خيارا إلاّ أن يؤمن بهذا الفضاء، ففيه تنتهي كل الحدود فرغم رياح التغير الهادفة لتغريب أهل القرية بغية تسيهل متطلبات الحياة لهم، بداية من إنهاء عناء الصعود والنزول إلى الجبل، وصولا إلى المرافق الحياتيّة الأخرى ،إلاّ أنّ هذه المساعي باءت بالفشل بل راح السكان يعقدون العزم بمواجهة البلدية والشامبيط لأنّ الاغتراب الحقيقي عندهم ماهو إلاّ الخروج من القرية.

" ألم تسمع ذلك ؟السكان اتفقوا على أن لا يرتحلوا من الدشرة، وعلى هدم السدّ، إن لزم الأمر" (بن هدوقة، 2012، صفحة 35). مما يؤكد أن شعور الانتماء متعلق بتفاصيل القريّة ما جعل الروائي يعمد على التفعيل الوظائفي للأمكنة وهو ما أنتج ثنائية الانتماء والاغتراب المقابلة لثنائية الوطن والمنفى، فمنح للأمكنة دلالات وظائفية فاعلة وأنتج بدوره أمكنة تقف على طرفي النقيض بناء على ما تؤمن به الشخصيات ليكون نتاج ذلك مفارقات بين الأمكنة القائمة على فكرتي الاغتراب والانتماء، فأدرج مقابل الدشرة أو القرية أكثر من مكان رافض لفكرة الوطنيّة

والانتماء واختار التنويع في هذا النقطة بين الأمكنة المفتوحة والأمكنة المغلقة . فالمكان النقيض للقرية أوالوطن هو مشروع القرية الجديدة التي اقترنت بالرفض من قبل جُل سكانها بل واعتبروها أحد وجوه المنفى، لذا فمجرد التفكير بالانتقال إليها يعد في ذاته الاقتران بلا انتماء واللاهوية، وتجسيد لفكرة الاغتراب، لذا فمشروع القرية الجديدة مرفوض رغم ما سيوفره من رفاهية لسكانها حسب إدعاء الشامبيط وهيئة البلدية فالخروج من قرية هو ذاته الانتفاء من فضاء الوطن.

2.1.3 فضاء البيت: لم يبرز البيت ككيان مستقل يحمل فكرة الانتماء بشكل قوي، بل اختصره الروائي ليكون جزءا من القرية، فالانتقال من بيت إلى آخر يعد مجرد انتقال بين أماكن متقاربة داخل نفس الفضاء."الدشرة ليست بيوتا فقط بالنسبة للسكان، ّنها تمثل ماضيهم" (بن هدوقة، 2012، صفحة 121)ومع ذلك فوراء كل بيت تتخفى دلالة سيميائية تميز الإيقاع الخاص للمكان، فلكل مساحة خصوصيتها التي تنعكس على شعور الفرد بالانتماء والهوية. هذه التفاصيل الجزئية المتنوعة من شوارع ومرتفعات تتضافر لتشكّل البنية الدلالية للقرية أو الدشرة ككل، حيث يشكل البيت وحدة بناء فرعية داخل هذه الشبكة النصية المعقدة. ويُعد بيت لخضر الجبايلي استثناءً مهمًا، إذ منحه الروائي ميزة خاصَّة من خلال مقاطع وصفية تكشف عن أبعاد اجتماعية ثقافيّة، وحتى دينيّة وهو مايجسده حوار بن الجبايلي وزوجته حين جاءهم عايد بن السايح زائرا " خروف العيد للعيد لا للضياف ..يرد بن جبايلي قائلا لها " الليلة عيده ! إن هذا الضيف جاء إلينا من آخر الدنيا .." (بن هدوقة، 2012، صفحة 43) فحفاوة الاستقبال علامة دالة على الأصالة والانتماء الثقافي ورمز لقيم اجتماعية متجذرة تعكس شخصية ساكنه فينسجم هذا البيت مع بنية المشرب الثقافي والفكري والعقائدي الموحد الذي يربط بين شخصيات النص في حركة تفاعلية بمباشرة بين الذات والبيئة فيبرز انتماء الشخصية لمجتمعها القروي، وبذلك يتحول البيت إلى دال وظيفي يعكس تماهي الشخصية مع فضائها المباشر، لكنه في الوقت نفسه يظل جزءًا من منظومة أوسع للانتماء داخل القرية. ليحمل البيت كعنصر مكاني دلالات ومستويات من العلاقات المتشابكة مما يخفف من حدة الاغتراب ويعزز الشعور بالانتماء. وعليه، فالبيت هو علامة ضمن منظومة رمزية تتكامل مع علامات أخرى في النص لبناء هوية مشتركة، يعكس بها النص صراع الذات بين الانتماء والاغتراب في فضاء القرية.

3.1.3 **فضاء الجامع:** يعد المسجد أو كما أطلق عليه الروائي الجامع الوجه العقائدي للدشرة، فرغم صغر مساحته إلاّ

أنّه يعتبر الفضاء الروحي الذي يجمع كل سكانها على كلمة التوحيد التي تعزز فكرة الانتماء الروحي، كما يعد الجامع الشاهد عليهم أمام كل طقوسهم الغريبة ،ذات المعتقد العجائبي في جو يرسم البعد الثقافي لسكانها.

ولقد عمد الروائي على توظيف التراث الثقافي، الذي تتجلى فيه العبادة بصور غريبة ،تجمع بين الصلاة تارة والرقص تارة أخرى، فإذا كان الفرق بينهما توقيت زمني فلا يقدمان مع بعض، فإنّ جغرافية الجامع هي من تحتضن هذا

التناقض ففي داخل الجامع تؤدى الصلاة وفي ساحته يجتمع سكان الدشرة للرقص وتقديم القرابين من خلال ما يعرف بالزردة، وأيّا كان الأمر ففي ذلك قصْديّة تهدف لخلق جذور قوية ليتمكن المكان من احتواء دلالات أسطورية و رمزية لأنّ الرقص والصلاة يشتركان في الحركة كما يشتركان في إظهار روح الجسد في خضم حركتهما ناهيك عن الكلام الذي يرافقهما فإذا كانت الصلاة تشترط سورا قرآنية مع نية مسبقة لتصح .فإنّ رقص الدراويش هو الآخر يقترن بأغاني ومقاطع معينة تملا أذن السامع بخوف متقصد، وبنية لكشف المستقبل وتعظيم الماضي مما يفعل الدلالة الوظائفية للمسجد إذ يسهم في إنتاج فضاء مزدوج الوظيفة فينشئ توترًا بين مركزية الانتماء وتهديدات الاغتراب الروحي والثقافي، حيث تتحول الرموز الطقوسية إلى علامات تجسد الصراع الجدلي بين الذات والمكان، بين الحضور والغياب، بين الثبات والتغير" الحضرة بلغت أوجها .الدراويش يتصارخون...لحظات جد متوترة تعيشها رحبة الجامع" (بن هدوقة، 2012، صفحة 185) بذلك تتبلور الهوية لتصبح شبكة من الإشارات التي تؤكد الترابط بين الفرد والجماعة، بين التاريخ والذاكرة، وبين الإيمان والطقوس، ما يعكس عمق البنية الدلالية للنص ويجعل من الجامع عنصرًا محوريًا في التعبير عن جدلية الانتماء والاغتراب، ليتحول الجامع إلى فضاء يعكس هويّة الشخصيّة الحاضرة والغائبة الدراويش،السبعة سكان القرية

2.3 تشكل فضاء الشخصية في ظل جدلية الاغتراب والانتماء

إنّ تفعيل وظيفة الشخصيّة يمنح مكونات النص ديناميكية لتتحرك فتتصارع وتتصالح، ونص الجازية والدراويش هو نص لعبت فيه الشخصيّة دورا بارزا في إثراء مجريات الحدث، لذا فالمحور الذي تتحلق حوله مكونات السرد يدور مجمله حول الشخصيّة وهي بدورها تعكس مجريات الأحداث لتبرز الأبعاد الدلالية الهادفة لتصوير الصراع القائم بين الانتماء والاغتراب وبناء على ذلك فهي لا تُفصح عن هويتها بشكل مباشر، بل تُشكّله عبر رموز وعلامات تؤدي إلى توظيف الشخصية كحاملة للدلالات الثقافية والاجتماعية فتُجسد صراع الذات بين الانتماء والهويّة من جهة، والاغتراب والشتات من جهة أخرى.

1.2.3 شخصية الجازية: تأتي كأبرز شخصية في النص، وهو ما يؤكده موقعها في العنوان حيث تحتل المرتبة الأولى كمبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة، في حين جاءت كلمة الدراويش معطوفة عليها، مما يدل ضمنيًا على التبعية والترتيب البنيوي بينهما فاختلاف إعراب المفردتين لا يقتصر على العلاقة الاسنادية بينهما، بل يحمل دلالات سيميائية تؤكد على مركزية الجازية كعنصر مهيمن في البنية النصيّة ومما يكشفه العنوان بناء على هذه العلاقة أنّ الدراويش رغم ما يملكون من مهارات إلاّ أنّها مهارات محدودة أمام الجازية لذا فهم تُبع لها وإن لم يصرحوا بذلك .

أمّا من الناحية الدلالية فقط ربط الروائي اسم الجازية بمرجعية ثقافية، فاقترن بالسيرة الهلالية وجمع بينه وبين بطلتها ويرى الدكتور أحمد منور "أنّ اسم الجازية إلى جانب دلالته اللّغويّة يحمل دلالة تاريخيّة ،ويذكرنا ببطلة السيرة

الهلاليّة المشهورة تلك المرأة التي خلدتها الذاكرة الشعبية، وصنعت منها أسطورة تتناقلها الأجيال.." (منور، 2008، صفحة 119) والهدف من هذا التوظيف كي تتمكن هذه الشخصية من تشرب الدلالة الرمزيّة فتصبح وجها للهويّة القرويّة فتراها شخصيات النص موازية لفضاء للوطن وتاريخه . "إنّه حلم العمر يتحقق، إذا تزوج ابنه الجازية ! تغسل ماضيه بماء عطر ! ابنه وأحفاده من بعده سوف يصبحون في الأفواه والأفكار حفدة أكبر فاعل للتاريخ!" (بن هدوقة، 2012، صفحة 188).

إنّ تمسك الشامبيط بهذه الزيجة لابنه يهدفه لغسل ماضيه الملطخ بالخيانة، فالجذور التي تحملها الجازية كونها ابنة شهيد قُتل بألف بندقية ودفن في حناجر الطيور كفيلة بأن تلغي سواد ماضيه وتبدله بحاضر مشرق بالتضحيات لأجل أن يحيا بهوية وطنية مسروقة ،الجازية رغم أنّها فتاة إلاّ أنّها في نظر الشامبيط التاريخ والهوية الذي يجب أن يستولي عليهما. لتجتمع عنده وجاهة السلطة وشرف الحاضر.

لا تعد مساعي الشامبيط وابنه الوحيدة من نوعها، بل هناك العديد من الشخصيات التي تحاول التقرب من الجازية ليست كعروس يتمناها الجميع فحسب، بل لما تحمله من عجائبية فهي الأسطورة التي جعلت كل سكان القرية يتمسكون بها، ويعتبرونها وجها لفضاء القرية، حتى القرية لا يمكنها أن تحيا إلاّ بوجود الجازية فهي المسلّمة التي اعلنتها الرواية بداية فوجودها شرط لاستمرار الحياة الجماعية وهي بذلك تجسد نقطة التقاء الانتماء والتاريخ، بينما يشكل عدم وجودها احتمالًا للاغتراب والفراغ "ومع ميلاد الزمن ولدت الجازية والدراويش و"السبعة" والرعاة و الشامبيط ..وهكذا بدأت القصة ..." (بن هدوقة، 2012، صفحة 5)، بالفعل بدأت قصة المرأة الأسطورة التي تحمل الانتماء بين ضلوعها، والحياة بين أصابعها هي من جعلت الكل يتقدم إليها بحجة الزواج، في حين أن سرّ هذا الارتباط مفاده أن تمنحه الجازية حياة عشتارية تستحق أن تعاش مادام كل من يحيا بدون الجازية لم يعرف الحياة ،فإذا كان تقرب الشاميط ورغبته من تزوجها لابنه يهدف لغسل الماضي الملطخ بخيانة الوطن، ومنح ابنه شرف الارتباط بابنة شهيد سرا في نفسه. فإنّ ذلك لم يخف على سكان القرية فقد جرى على لسانهم أن الشامبيط " لم يكن يرد منها بتولتها فقط، كان يريد أن يتوج اسمه بهالة النور التي صنعتها بندقية أبيها ودماؤه ! يريد مسح عار ""الشمبطة " عن جبينه، كما قال السكان " (بن هدوقة، 2012، صفحة 24)،

لكنّ هذه الغاية لم تتحقق ،وانتهت بموت الشامبيط ليحقق بذلك معنى الاغتراب، فقد رفضته الجازية الوجه الذي يعادل الانتماء ويعكس الهوية، قبيل الزردة التي كان سيقيمها ليتعرف ابنه على الجازية و لينال بركة الدراويش وذات الأمر حدث مع عايد بن السايح بولمحاين فرغبته بالارتباط من الجازية ترجع لعهد قطعه على أبيه بأن لا يغرس بذوره إلاّ في هذه القرية، والسبيل لتحقيق ذلك هو الارتباط بالجازية، ليمد بجذور الانتماء أرضا وهوية، بهدف أن يمحى

اغترابه الطويل الذي عاشه مهاجرا مع والده وعليه هو ارتباط سيجدد عروقا يبست ويجدد هوية كادت تنمحي " الجازية ! أتدري أيّ شيء هي الجازية بالنسبة للدشرة ؟ هي الحلم (...)هي العروق الماضية، وهي الثمار التي ستولد ! هي حمامة فوق رأس جبل، من يستطيع قبضها ؟" (بن هدوقة، 2012، صفحة 153). كما نجد شخصية الطيب بن الأخضر الجبايلي فهو الآخر حلم بالجازية منذ كانت صغيرة وعشقها وتمنى أن يغرس معها الورد على قمة الجبل" .. ثم تخرج الجازية فجأة من الطفولة لتصبح الأسطورة- الحلم! (بن هدوقة، 2012، صفحة 22، 23)"، فتتلاشى خيوط هذا الحلم إذ لا يمكن للأسطورة والأرض أن ترتبط بفرد واحد، كما يظهر الطالب الأحمر كرمز جديد يمثل قوة الاغتراب والتحول، إذ جاء برفقة مجموعة من الطلبة في محاولة لاستكشاف الدشرة والنظر في مشروع ترحيلها إلى القرية الجديدة. ورغم عدم إفصاحه المباشر عن دوافعه، فإنّ حواره وبحثه عن الحقيقة كشف عن رغبة في تحديث المجتمع وكسر القيود التقليدية التي نسجت خرافة وأساطير هذه الدشرة واستبدالها بنظام جديد يستجيب لاحتياجات العصر، ما يعكس جدلية الصراع بين الانتماء الموروث وبين رغبة التغيير والحداثة، أي بين الحفاظ على الهوية أو الدخول في حالة اغتراب حضاري وثقافي. وتزامنا مع تنقيبه وبحثه لتحقيق مشروعه يتعرف على الجازية وعلى الحكايات التي كانت تحاك لأجلها في صورة تُماثل الاسطورة والخرافة.

الأحمر أراد من القرية أن تتغير وتلبس ثوبا جديدا وتتبني نظاما جديدا" الأحمر هو اسمي الحقيقيّ. هو لوني، هو أحلامي" (بن هدوقة، 2012، صفحة 62)، إنّ رغبة الأحمر لم تتوقف عند حدود القرية كفضاء جغرافي بل تجاوزتها حيث اقترنت بالجازية فراح يحاول إطفاء الهالة الأسطورة المضيئة حولها لينزلها إلى مرتبة فتاة عادية، وتشاء الصدفة أن يتم ذلك أمام سكان القرية، وتحديدا حين أقيمت الزردة فضربت الدفوف ورقص الدراويش ولعقوا المناجل المتقدة ، ليدخل الأحمر حلبة الرقص ويجذب الجازية لترقص معه بل ويقدم لها المنجل لتلعقة وهنا تحدث الكارثة وتتحدد الطبيعة مع غضب سكان الدشرة فتنهال الأمطار فتتساقط وبائل على القرية وتنهار بعض المساكن وتغرق الماشية وبعد يومين تقف القرية على أمر وفاة الأحمر في الهاوية.

ومنه نستنتج أنّ الروائي عمل على أن تكون الجازية هي الأسطورة والانتماء والوطن فتظل متفردة، تحمل تفاصيل القرية وتعزف على أوتار الرمز والحياة بأكثر من يد، فلا يمكن أن تختصر حياتها بالارتباط بشخص واحد لذا عمل على صنع نهايات متشابهة لكل من يرغب بالارتباط بها إمّا بالموت أو السجن أو حتى بالهجرة والعدول عن الحلم المستحيل، فرسم الجازية من كونها امرأة إلى كونها وطن لا تموت ولا تشيخ بل تضرب بجذورها في عمق أتربة القرية لتبرز مدى ولائها وانتمائها لها متنفسة أزمنة لا متناهية فلا ترحل برحيل شخوصها بل تصمد لتوثيق هويتها .لذا فاشتراك الجازية بذات الحروف التي تحملها الجزائر هو ما عزز هذا الطرح.

2.2.3 شخصية الدراويش: تحتل شخصية الدراويش مكانة محورية في النص، إذ تمثل قوة تأثيرية عميقة في معتقدات وأفكار سكان القرية، متجاوزة بذلك دورها الاجتماعي لتصبح علامة دالة تكتنفها هالة من الغموض والعجائبية. فالدراويش من خلال تسليمهم التام وانقيادهم لكل ما هو مستحيل وغيبي، أثروا على سكان الدشرة فكانوا لهم الصوت الآمر الناهي مما جسد علاقة هيمنة وسيطرة أنتجت تناوبا بين السلطة والخضوع، كما أبرزت توترًا داخليًا يعكس جدلية الانتماء والاغتراب؛ فالدراويش هم نبض القرية وصوتها الحي الذي يُحذر ويبشر، ويتلو أحداث الماضي والحاضر والمستقبل. ووفقًا لذلك امتزجت الأسطورة بالوقائع ليصبح كلّ تاريخ القرية محملاً بالرموز، فيتحول الدراويش إلى حاملين للكرامات إذ "لا يحدث حادث بالدشرة دون أن يشارك فيه الدراويش !" (بن هدوقة، 2012، صفحة 53)، حتى أنّ هويتهم أصبحت وجها لفضاء القرية فكل ما تريد أن تعرفه عنها يكفي أن تسأل الدراويش عنه، حتى أنّ الروائي حين يسند تقنية الوصف لبعض شخصياته لايكتفي بوصف القرية كفضاء مادي بل يصف الدراويش فيذكر كراماتهم و قدرتهم باعتبارهم صوت القرية المعنوي.

بذلك يتحول صوتهم إلى وسيط بين فضاء القرية وسكانها، صوت لا يفهمه أحد سواهم ولقد تكررت المقاطع التي تحمل بعدا عجائبيا يحيل إلى هدف واحد ألا وهو الحفاظ على القرية وسكانها من أي غريب وافد أو أي تغير وارد، مما يبرز جدلية الانتماء والاغتراب التي تظهر في حفاظهم على عادات القرية وتقاليدها التي بلغت في نظرهم مكان القداسة خصوصا إذا حضرت الجازية فهويتها انعكاس لفضاء القرية بكل ما تحمل من قبور وجبال وبيوت... وتمثيلا لا حصرا ندرج أحد المقاطع التي أبرزت شخصية الدراويش كصوت لهوية وانتماء الوطن،" في غمرة الرعد و الرقص أخذ أحد الدراويش يبكي بكاء عاليا "يا ويلي، ويلي! السباع تخاف من الكلاب والأعداء صاروا حباب ! ياويلي ! ياويلي ! الأبطال هربوا، والأنذال غلبوا ! ياويلي! ياويلي ،الساعة جات وفرات، ! الساعة جات، ولي ما عاش في الحياة ما يعيش في الممات!" (بن هدوقة، 2012، صفحة 80).

وظف الدراويش السجع لمنح العبارة نغما موسيقيا، لشد انتباه أهل القرية ولإقناعهم أنّ هذه المقولة بمثابة التحذير المباشر لهم، ويستمر صوت الدراويش مخاطبا أهل الدشرة رمزا وايحاء لأكثر من ثلاث صفحات وهنا نشير أنّ الروائي عمد على إشراك المتلقي في النص والارتقاء به إلى "مستويات الفكر والإدراك والخيال، باللجوء إلى الرمز والتلميح والابتعاد عن المصارحة والابتذال اللذان يرهقان كاهل النص" (بن يحي، 2014، صفحة 123).

تتحقق مقولة الدراويش وتحدث الكارثة، التي تضرر منها السكان كما تضررت منها القرية وعليه فهو المصير المشترك " الفلائح والغلال قضت عليها العاصفة !غدا عندما يطلع النهار تصبح الأشجار عارية، تصبح الأرض عارية، يصبح السكان عراة.." (بن هدوقة، 2012، صفحة 84). هنا تصبح الشخصيّة جزءًا من القرية ومن جذورها المتأصلة في

أتربتها لتؤكد بذلك أنّ قضية الانتماء لم تعد مسكنا لم تعد مسارا حياتنا تعيشه بل أصبحت هوية مشتركة إذ تلقى الشخصيّة ذات المصير الذي يلقاه الفضاء،مما يحول شخصيات النص إلى روحا موازية لهذا الفضاء تخاطبها حتى لكأنّ قصر المشاعر على لفظين مختلفين الشخصية /القرية "يُعد خيانة لهذه المشاعر.

حين يتوحد المصير ويتجدد الأمل في إطار يجمع الفضاء بالشخصيّة، تلغى كلّ الحدود التي تصنعها المفردات، فيصبح اللّفظ صوتا لا غير، لأن تباين المفردات لا يعني أبدا اختلافا في الدلالة والمعنى أمام هذا الالتحام الوثيق بين الفضاء والشخصية لتصبح المعادلة الحقيقية هي تطابق المفاهيم.

3.2.3 شخصية السبعة: رغم أنّ حضورهم النّصي كان قليلا مقارنة بالشخصيات الأخرى، إلاّ أنّه تمكن من إضفاء دلالة رمزية على مجريات الأحداث وعليه فصورة القبور" تماثل قراءة أي شفرة لغويّة لأجل معرفة المعاني والرموز المكفنة بالغموض" (بن يحي، 2014، صفحة 132). مما يجعل صورة الفضاء مربكة خصوصا وأنّها تحمل دلالة متناقضة دلالة تجمع بين حقيقة الموت، ورمزيّة الحياة فالقبور هنا ليست فقط علامة على الغياب والفناء، بل تتحول إلى رمز للوجود والاستمرارية، إذ تعزز انتماء الشخصية إلى فضاء القرية وتُثبت جذورها فيه، حيث تصبح هذه القبور أو بالأحرى الأولياء السبعة الحراس الروحيين للقرية، ويشكلون بذلك مرجعية مقدسة تمنح القرية بركة الحياة وأملا في الصمود وسط متغيرات الزمان والمكان.

إنّ التمسك بالسبعة هو ذاته التمسك بالقرية" يقال عن الجامع أنّه مدفون به سبعة أولياء، لهم من يخلفهم أبدا الدهر! كلّما مات سبعة جاء من بعدهم سبعة ، يعبر السكان عن ذلك بعبارة متداولة بينهم "سبعة يغباو ، وسبعة ينباو! " (بن هدوقة، 2012، صفحة 53)، حتى أنّ تواجد قبورهم بالجامع منح لقبورهم رهبة جمعت بين الدلالة الدينية للجامع ،وعجائبية هؤلاء السبعة، فجلُّ المناسبات تتم في ذات المكان مما حول القبور السبعة إلى رابط روحيّ يجمع حاضر القرية بماضيها، فهم الحضور الغياب وكأنّ القرية ترفض التخلي عن أوليائها رغم موتهم .وهو ما يؤكد مدى الانتماء التي تحيا فيه الشخصية مع فضاء القرية، وعليه هي علاقة ترفض ثنائية الحياة والموت وتؤمن بثنائية الحياة و الخلود .

أمّا شخصية كل من الرعاة والطلبة فقد أبرزهما الروائي بشكل درامي يساهم في بناء الحدث وتطويره من خلال الحوار وهي الزاوية التي كشفت لنا ما يدور في أذهانهم من معتقادات وقيم، فأكدت مواقفهم على مدى تعلقهم بالأرض والذاكرة الجماعية ليتحول تفاعل هذه الشخصيات مع المكان إلى نموذج مصغر يعكس جدلية الانتماء والاغتراب، مُظهرًا كيف تتشكل الهوية عبر تداخل الفرد والمجتمع في فضاء القرية المادي والمعنوي.

3.3 دور الزمن في تشكيل فضاء الاغتراب والانتماء

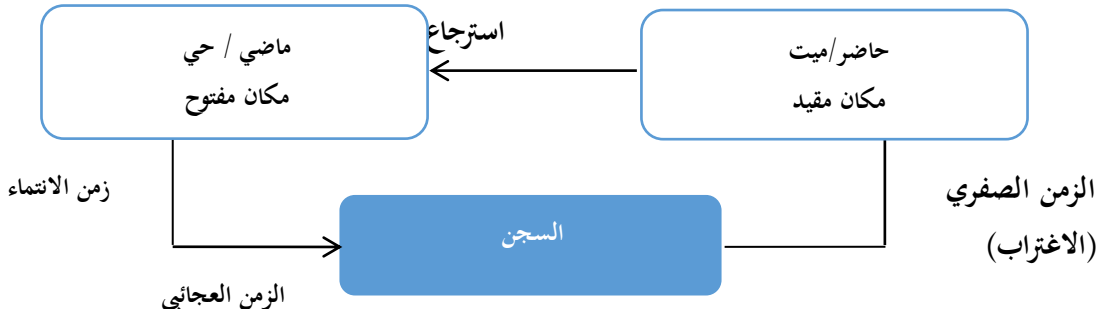
1.3.3 زمن الانتماء: عمد الروائي على إخراج الزمن من حركيته الفيزيائيته الرتيبة ليدخله في مدارات تجمعه بالشخصيّة ما يجعله يصبغ بلونها ليكون نتاج ذلك زمن مختلف أطلقنا عليه زمن الانتماء ويتجلى في تمجيد سكان القرية لثوارها، ويتطور هذا الشعور إلى أن يصبح استرجاع الماضي هو حضور لزمن الانتماء، مما جعل اللّحظة الحاضرة مغيبة أمامهم، فتتحول إلى زمن صفري مسلوب الإرادة لا توليه شخصيات النص أيّة عناية إلاّ إذا اقترن بالأسطورة أو الخرافة في عجائبية تشد كل وافد جديد لفضاء القرية، وعليه فإنّ هذا التشابك الزمني يبرز جدلية الاغتراب والانتماء بوضوح فالشخصيات التي تغوص في استحضار ماضيها وهويتها الثورية تعيد بناء ذاتها وتقاوم حالة الاغتراب التي تهدد وجودها، بينما يضعف تأثير اللّحظة الحاضرة على نفسياتهم وهو ما يعكس مقاومتهم للزمن الحاضر الذي قد يفرض عليهم انفصالاً عن جذورهم وأصولهم، بالتالي، يُجسد الزمن في النص فضاءً مركبًا يحتضن التوتر بين الانتماء والاغتراب، حيث يصبح الزمن نفسه عنصراً فاعلاً في تشكيل الهوية لا مجرد خلفية تمر عليها الأحداث،بل مشهدا يعكس التجربة الإنسانية المعقدة في مواجهة المتغيرات الاجتماعية والسياسية

تحول الزمن في رواية الجازية والدراويش لشاهد على وفاق الأمكنة وميلاد الشخصيّة، ليبرز هوية المجتمع القروي بصفة خاصة ما يجعله يحظى بعناية خاصة وأول أسطر هذه الرواية جمعت المتلقي بالزمن " قبل ميلاد الزمن كان الجبل وكانت العين وكان الصفصاف " (بن هدوقة، 2012، صفحة 5) هنا يؤكد الروائي أنّ المكان لم يكن إلاّ جغرافية واجمة لا حياة فيها لأنّها لم ترتبط بعد بالزمن، ليتغير الوضع وتدب الحياة فيه بمجرد ميلاد الزمن " ومع ميلاد الزمن ولدت الجازية والدراويش و"السبعة " والرعاة والشامبيط وهكذا بدأت القصة ..." (بن هدوقة، 2012، صفحة 5).

وبذلك يتجلى زمن الانتماء في استدعاء الماضي كفضاء يضج بالذكريات التي تعزز الروابط العاطفية بين الشخصيّة والدشرة . فيمثل الحنين هنا رمزاً للحفاظ على الهوية الجماعيّة، إذ لم تعد الشخصية تسترجع ماضيها لمجرد استعادة أحداث فردية، بل لاستعادة ذلك الزمن الذي جسد شعور الانتماء الحقيقي، الذي يتعرض للتغير في الحاضر ليتحول الزمن الماضي كوسيلة مقاومة ضد الاغتراب ، وعليه فهي إدانة ضمنية للحاضر المنكِر لتلك الروابط. فكلّما تنكر الحاضر لهذه الروابط قامت الشخصية بإلغائه لتعيش الماضي. لتتضافر جهود الزمن مع دلالة المكان ليصنعا إيقاعا مختلفا. ويعد السجن من أكثر الأمكنة التي احتوت زمن الانتماء .وتمثيلا لهذا النوع من الأزمنة ندرج شخصية الطيب بن الأخضر الجبايلي حين دخل السجن بناء على جرم لم يقترفه إذ كان ضحية لشهادة زور من قبل أهل القرية،ما جعله يقف مستسلما أمام هذا الاتهام وبمجرد دخوله للسجن ألغى حدوده الجغرافيّة وراح يستدعى زمن الانتماء كلّما انتابه الحنين للقرية وللجازية وللجبل، ليتحول السجن إلى رمز لزمن الاغتراب الاجتماعي، ماشكل توتراً بين المكان الفعلي السجن، مقابل القرية التي

تظهر من خلال زمن الاسترجاع فيشكل جدلية زمنين هما زمن الانتماء والاغتراب.وهو ما يوضحه الشكل الآتي :

الشكل: تجليات الزمن بين الانتماء والاغتراب



المصدر: من اعداد الباحثة

" أصبحت سجينا. لي رقم. وأقيم في حجرة لها رقم. رقمي سبعة .رقم الحجرة أيضا سبعة! بالقرية جامع يدعى السبعة. لا أفكر .." (بن هدوقة، 2012، صفحة 7)بمجرد أن دخل الطيب السجن ينتقل بذهنه للقرية فهو لا يعرف أن يقيم إلاّ هناك حتى أن الانتقال لم يحتج إلا لمؤثر بسيط هو الرقم "7 "ليكون كافيا لإعادته لزمن الانتماء فرغم إصراره أن لا يفكر لكنّ زمن الانتماء كان الأكثر تأثيرا،إذ تتكرر عبارة لا أفكر أحاول أن لا أفكر لا بد أن أقام أكثر من مرة في الأخير يتغلب زمن الانتماء عليه وينتفي زمن الاغتراب رغم سجنه " تقوم الذكريات في نفسي، تضع أمامي القرية والصفصاف" (بن هدوقة، 2012، صفحة 9).

ما يقال عن المكان المنغلق، يقال أيضا عن المكان المفتوح فأهل الدشرة يعيشون في هذه القرية متمسكون بترابها وبماضيها الذي يتداول على ألسنة سكانها ليعيدوا حضوره،وهو ما يساهم في حضور زمن الانتماء ليصبح الحاضر الذي يعيشونه مستمدا من الماضي، فجل حواراتهم استغراق لهذا الزمن " أبي في الحقيقة جزء من الدشرة ومن الجبل. هو والسكان حياتهم مؤسّسة على ماض سحيق .فكلّ تغير جذريّ يستلزم تلغيم الماضي " (بن هدوقة، 2012، صفحة

16) ولا يتوقف حضور هذا الزمن على حوارات الشخصية بل يرتبط أكثر بالشخص حين يسترجع ذكرياته تلك التي عاشها .إما بمولوج داخلي أو بتأمله الصامت لماضيه .

2.3.3 الزمن العجائبي: أهم ما يميز هذا الزمن عدم اقترانه بزمن معين، إذا يمكن أن يكون استغراقا للماضي أو الحاضر أو المستقبل وبمجرد اقترانه يستسلم الزمن الفيزيائي له ويتسم بملامحه، الزمن العجائبي يمتزج بالأسطورة والخرافة فتنتقل الشخصية في خصمه إلى زمن نفسي، فتتحول اللّحظات إلى ساعات لا تنتهى إلاّ بانتهاء الطقوس أو بانتهاء الخرافة "كنت صغيرة، وكنت صغيرا، رغم عمر آلامك الطويل الممتدّ في أعماق الزمن الماضي!" (بن هدوقة، 2012، صفحة 13) يضفي الروائي جانبا من الأسطورة لعمر الجازية فهي المولودة قبل ميلادها، عاشت الألم وها هي اليوم تحاول أن ترسم حياة لغدها حياة تقترب من الحاضر والحقيقية، حتى أنّ ميلادها كان سببا في إنهاء زمن عبثي وفعّل الزمن العجائبي إذ خلخل البنية الزمنية التقليدية للنص وكسر ترتيب الأحداث وأعاد بناء العلاقة بين الذات والآخر قضاء القرية كالوطن

الزمن في هذه الرواية ليس مجرد إطار خارجي، بل هو عنصر بنيوي ساهم في تشكيل الهوية السردية للشخصية، فالجازية التي أخرجت الدشرة من سبات القرون، تصبح مركزًا لهذا الزمن العجائبي حيث يُحتفى بها كرمز للانتماء القوي رغم الإحساس بالاغتراب لكل من يبتعد عنها، الجازية ليست امرأة عادية فوالدها المدفون في حناجر الطيور قد يأتي لحمايتها وهنا تتدخل الخرافة لتنسج طريقة مجيئه "حام الرعاة حولها ثم تفرقوا. خافوا أن يعود أبوها في صورة إعصار يهلك الضرع والزرع! إنّ رجلا يقتل بألف بندقية ،ويدفن في حناجر الطيور لا تؤتمن روحه! " (بن هدوقة، 2012، صفحة 23).

حتى أنّها كانت ترى مستقبلها الذي يرفضه العقل و تصدقه الخرافة، يتحقق في خضم زمن عجائبي لا يراه أحد سوى قارئة الكف ولا يؤمن به أحد سواها "...ثم يمر زمان لا شمس فيه، يشبه اللّيل وليس ليلا، أعيش أزمنته واحدة واحدة، ثم أتزوج زواجا يشهده كلّ دراويش الدنيا !" (بن هدوقة، 2012، صفحة 71).

لم يتوقف الزمن العجائبي عند حدود شخصية الجازية ووالدها، بل تعلق بالدراويش فذاعت أخبارهم بين القرى ووثقت عنهم الأقاويل لتصبح مسلمات فاعتقاد، هنا ينسحب الحاضر من شعور الشخصية لتحيا زمنها العجائبي مستسلمة لأقوال الدراويش ومنه نستنتج أنّ الزمن العجائبي في النص هو آلية تعبير عن صراع مستمر بين رغبتي الانتماء والاغتراب. فهو زمن ميتافيزيقي تتداخل فيه الأسطورة والطقوس لتعزز الهويّة الجماعية، لكن في ذات الوقت يحبس الشخصيات في حلقة من التكرار والرهبة من المجهول. بهذا يتحول الزمن إلى أداة تحرّك مجريات الحدث حقيقة ورمزا

كما يعبر عن وحدة المكان والشخصية في مواجهة واقع يغذي الشعور بالاغتراب، لكنه في نفس الوقت يعزز الانتماء عبر المحافظة على التراث والتقاليد التي تتجسد في حضور الدراويش، والطقوس فتشكل شبكة علامات معقدة تمثل البنية الثقافية والاجتماعية للنص.

3.3.3 الزمن الصفري : يشير الروائي إليه باعتباره زمنًا مفرغًا من التغيير الحقيقي أو الفعل المؤثر، وهو ما يعكس حالة ركود نفسي واجتماعي يعيشها سكان القرية. هذا الزمن رغم وجوده الظاهري فهو يشكل فراغًا بين زمنين هما الماضي المرتبط بالهوية والانتماء، والمستقبل الذي يجسده الطلبة، كما يتجسد هذا الزمن في حوار بين عايد والراعي، الذي استغرق خمس صفحات دون أن يستفيد عايد شيئا منه، ما حوله إلى زمن ميت فتصبح اللّحظة الحاضرة بلا مضمون ولا طموح، وبناء على ذلك يمثل الزمن الصفري عنصرًا وظيفيًا في بناء السرد يبرز التوتر بين الحاضر الراكد، والماضي الحي والمستقبل المرتقب. وتمثيلا لهذا الزمن حاضر الشخصية الذي تحول إلى حلقة مفرغة، أمّا مستقبلها فهو مجهول مادام خارج الدشرة تعد لعبة الفلجة من الرموز التي وظفها الروائي كوجه لهذا الزمن فهي لعبة يلعبها سكان الدشرة فتعبر عن حالة الركود والجمود لكونها لعبة تحاكي حالة الجمود الاجتماعي والذهني، وتعمل كعلامة على عدم تقدم الحاضر.

ليصبح الزمن الصفري بذلك رمزًا للاغتراب داخل الحاضر نفسه، فهو زمن بلا هُوية أو انتماء ما يعكس صراع الشخصيات بماضيها وواقعها الراكد والرغبة في الانطلاق نحو المستقبل. فهدف الطلبة من المجيئ لهذه القرية أن ينقلوا سكانها من الماضي إلى المستقبل،لأنّ الحاضر أضحى مفرغا لا يعكس إلاّ استمرارية الاغتراب لسكان تحاصرهم اللّحظة الحاضرة فلا تحقق لهم الانتماء، ولا تسمح لهم بالتطور فيصبح الحاضر وجها للاغتراب لا يقدم سوى صراعات نفسية واجتماعية تتجلى في عدم قدرة الشخصيات على تجاوز الذاكرة مما يجعل فكرة الانتماء مرتبطة أكثر بالزمن الماضي أو المستقبل.

4.خاتمة:

إن صورة الفضاء في تجسيد الصراع من خلال مكونات النص وتصعيده عبر هذه الثنائية أكد بأنّ العمل الروائي مجال خصب لا يمكن أن تجنى مقاصده في بحث واحد، بل هو مؤشر يؤكد أن فيه من الأبعاد الفكرية والجمالية ما يستدعي أكثر من عمل نقدي جاد للالماء بفحواه .فباب التنتقيب في هذا العمل الروائي لا يزال متاحا. ومما سبق عرضه ندرج أهم النتائج كالآتي:

- التشبث بالماضي وجه من وجوه الانتماءالذي تعكسه مكونات النص، الزمن ، المكان والشخصية.
- هذه الرواية تمكنت من حمل الموروث الثقافي من خلال الحياة الاجتماعية التي تحياها الشخصيّة.

- التنويع الصوتي في هذا النص كان أحد مميزات هذا العمل فاختلفت اللّغة بناء على بناء الشخصية وهو ما سمح لنا بسماع " المثقف" والأمي " الدرويش " والإمام " حتى أنّنا لمسنا صوت الماضي يحاكي الحاضر في جدلية تؤمن بالصراع و الاستسلام.
- تنوع الزمن في هذا النص فأسفر عن أزمنة متنوعة أهمها زمن الانتماء، الزمن العجائبي، الزمن الصفري .أزمنة تؤمن بالتقاطع ، كما تؤمن بالتلاحم.
- خروج المكان الجغرافي من إطاره المادي الضيق إلى فضاء مفتوح عكس جوهر الشخصية،ما ألغى الحواجز بينهما.
- ساهمت الأسطورة في تجلى مفهوم الانتماء والاغتراب الذي بدوره أبرز فضاء الوطن.
- الانتماء والاغتراب ثنائية جدلية لم تعد موضوعا يجسد صراع شخصيات النص فحسب، بل تحول إلى طرح ساهم في تفعيل الأمكنة والأزمنة ماصور مدى تلاحم مكونات النص السردي.

5. قائمة المراجع:

المؤلفات:

- أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي الجوهري. (1987). . الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. (تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار) (الإصدار الطبعة الرابعة، المجلد الجزء السادس). (دار العلم للملايين، المحرر) بيروت.
- إبراهيم صحراوي. (2003). تحليل الخطاب الأدبي –دراسة تطبيقية–. الجزائر: دار الآفاق.
- أحمد منور. (2008). ملامح أدبية –دراسات في الرواية الجزائرية–. الجزائر: دار الساحل للنشر والتوزيع.
- بن عمر منجي. (2015). الفضاء في رواية الثورة–دراسة مقارنة بين الآن..هنا،لمنيف والأم لغوري (الإصدار الطبعة الأولى). تونس: الدار التونسية للكتاب.
- جوزيف إكسندر. (2003). شعرية الفضاء الروائي، ترجمة لحسن حمامة (الإصدار د ط). (إفريقيا الشرق، المحرر) دار البيضاء، المغرب.
- حميد لحميداني. (1991). بنية النص السردي. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- سعدية بن يحي. (2014). دلالة المكان في الرواية الجزائرية –رواية عابر سرير لأحلام مستغانمي نموذجا– (الإصدار ط 1). الجلفة، الجزائر: دار الضحى للنشر والاشهار.

- ضياء غني لفتتة، و عواد كاظم لفتتة. (2010). سردية النص الأدبي. عمان: دار الحامد.
- عبد الحميد بن هدوقة. (2012). الجازية والدراويش. الجزائر: دار القصبة.
- لويس معلوف. (1998). المنجدفي اللغة والأعلام. (24، المحرر) بيروت: دار المشرق.
- مُحَمَّد مكرم ابن منظور. (د ت). لسان العرب، مادة "فضا" (المجلد 05). (دار المعارف، المحرر) القاهرة.
- مرتاض، ع .(1995) .في نظرية الرواية-بحث في تقنيات السرد .– الكويت: دار المعرفة الكويت.

المقالات

- عماد هادي الخفاجي. (29 08، 2013). مفهوم الفضاء والمكان والحيز ،صحيفة التآخي اليومية. 7004.
- وفاء غالية . (12 12، 2016). الفضاء الجغرافي والفضاء النّصي في رواية شرق المتوسط لعبد الرحمان منيف. (المركز الجامعي تمنراست، المحرر) مجلة آفاق العلمية(12).

مواقع الأنترنت

- علي بن مُحَمَّد الجرجاني. (2003). التعريفات، (تحقيق: مُحَمَّد صديق المنشاوي). القاهرة: دار الفضيلة. تم الاسترداد من https://lib.eshia.ir/40645/1/253/%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%BA%D8%A9#